نعم ، هي أيامٌ تنقضي يا كليمانسي وما بقي منها أقلُّ مما عبر. ولا بدَّ ان يأتي ذلك الغد الذي تنطوي فيهِ آخر صفحةٍ من العمر ، فيتثاءب القبرُ وأُصغي الى حفيف اجنحتكِ ، والنفس تائقةٌ الى النجاة من اغلال المادة لتحلِّق معكِ في فراغٍ لا نهاية له . فمتى يبزغ ذلك الفجر المجيد ؟ إنَّ أحلامنا لم تتحققْ في هذه الحياة ، فهل تتحقق في العالم الآخر ؟ أم تكون الأبدية أقسى من عالم الفناء ، فيمتدُّ بنا الفراق ، وينقطع كل أملٍ من اللقاء.

هوذا أنا أنتظرُ ذلك الغد

فسلام الله الى حين اللقاء ...

(بقلم سليم عبد الأحد)　　نوماس هود

شيءٌ عن الفن

كتبتُ في مجلة « الزهور » مقالاً تحت هذا العنوان ، فتفضلت السيدة لبيبة هاشم بالردّ عليَّ مبديةً رأياً غير رأيي . فلم يذهلني ذلك لعلمي أن قيمة الفنون الجميلة في نظر السيدة لبيبة توازي قيمة خرافات العجائز « وقصص الغول وعنقاء بنت الريم » في نظر الفيلسوف الباحث ، فضلاً عن ان حضرتها تسيء الظن في جماعة الفنّيين وربما تحسبهم أعضاء عليلة في جسم المجموع الانساني . فلذا أظنها مستحسنة في سرّها ان يمرَّ الطبيب آلته الكهربائية على جسم كل واحدٍ من أفراد هذه الزمرة الخبيثة : زمرة الموسيقيين والمصوّرين والنقاشين والشعراء ، لعلهم يعودون

ن مسارح أحلامهم البليدة الى عالم المحسوس ! ! !

لكنَّ شيئاً آخر أذهلني في مقالها ، وهو اتّهامي باحتقار العلوم . امحها الله ؛ نعم قد اتهمتني ؛ لقد نسبت اليَّ أقوالاً لم أرِدْ قولها ، وصوَّرتني بورة جميلة قبيحة (لكنها قبيحة اكثر منها جميلة) في وقت واحد ، اذ ملتني فتاة « تنظر من سماء أحلامها الذهبية الى عالم الاختراعات العصرية الاكتشافات العامية نظرة الاحتقار والازدراء » . فتاة غريبة الاطوار ، ستقلة في دوائر أحلامها ، متكبرة متوحشة مع كثير من البلاهة — دت لا أعرف نفسي في هذه الصورة ، ولكني لم ألبث ان فكّرتُ في ن الصديقة الفاضلة تقصد مداعبتي . ولعمري أني أُحبُّ مداعبة يدها لطيفة وان ظلمت وجارت

*
* *

يتنازع السيادة في عالم الافكار عنصران : العنصر الروحي والعنصر ادّيّ . فالمادّيون يقولون إن الغنى هو السعادة وان أهمَّ واجبات الانسان و السعي وراء الثروة للتوصل الى السعادة عن طريق التجارة . والروحيون تقدون أنَّ الانسان خلق لغاية أسمى من الغنى ، وان سعادته الحقيقية توجد في التجارة ولا تتأتّى من الأرباح الناتجة عنها ، فيذهبون أملاتهم الى ما وراء المحسوس معسعسين آثار هذه السعادة التي تذوب ن لقياها الارواح ، باحثين عن الجمال المطلق المقرون بالكمال المطلق ، هذا هو المحور الذي تتيهُ حولهُ الأنفس الملتهبة بنيران حبّ الجمال وحبّ لحقيقة . فهذه الفئة (وهي من أعلى طبقات البشر أدبياً) لا تجد حظوى

في عيني صاحبة « فتاة الشرق » الفاضلة . وهي تقول في كل فردٍ من أفرادها انه « يظلُّ مقصراً في معارفهِ وشرائعهِ وآدابهِ وسائر نظاماتهِ » (واأسفاه عليه ! ! !) ، وانه « يظلُّ بليداً وحيداً بأفكاره يعمل لخدمة نفسه وسرورها فينصرف الى بهرجة الفنون الجميلة ويلجأ لنظم القوافي في ظلال البنايات الضخمة صارفاً في سبيلها الوقت والتعب جزافاً » (يا للخسارة ! ! !)

يعلم الله أني لا أريد الدفاع عن الفنّ ومحبيه لانه من المستحيل ان يُقنع أحد الطرفين خصمه ، ولو كان محقاً ، ولعلمي ان الحرّية الأدبية مزيةٌ غالية ، وانَّ لكل انسان حريته في اعتقاداته وآرائه . لكني أودُّ أن أستفهم حضرة الكاتبة لماذا يا ترى يظلُّ محبُّ الفن مقصراً في معارفه وشرائعه وآدابه ، كما تزعم حضرتها ؟ ألأنهُ لا يدرس « الميكانيك » ، وهل كل الناس يدرسون هذا الفرع من العلوم ؟ ان لكل مخلوقٍ خطة يسير فيها فهو لا يتقن من العلوم الاّ الفرع الذي يستخدمه لقضاء حاجته والسير في خطته

ومع ذلك فاننا نرى معارف محبي الفن تزيد على معارف غيرهم لأنهم يميلون طبعاً الى البحث في كلّ مهمّ مفيد ، والى استكشاف كل جديد

ولماذا يظلُّ الغنيُّ مقصراً في آدابه ؟ ان من أحبَّ شيئاً برهن على ان في روحه جوهراً يشابه جوهر الشيء المحبوب ، ومن أحب الفنّ فقد أحب الجمال والكمال ، لأن الفنّ صورتهما . ففي روح الشاعر اذاً شغفٌ بالجمال وميلٌ الى الكمال ، فهو والحالة هذه أقرب الناس الى

ما هو حسن، والأدب أحسن حسنات الاجتماع . يقول صديقنا روسكن: « ان روح الشرير لا تقدر أن تفهم الجمال والكمال ، بل ان الارواح الجميلة لطاهرة الشريفة تقدرهما حق القدر لانها من أمثالها » . وأودّ أن أضيفَ الى هذا خلاصة ما قرّره علماء الفلسفة الاجتماعية وهو ان العلم شيء والاخلاق شيء آخر . فان لم تصدقني السيدة لبيبة فعليها بكُتُب « هربرت سبنسر » وكتب غيره من المفكّرين أمثاله الذين يقولون انّ مفعول العلم والدرس يتجسم في القوى العقلية ، وقد يؤثر أحياناً في الاخلاق لكنه لا يؤثر دائماً

أما قول صاحبة «فتاة الشرق» ان الشاعر يظلُّ بليداً ، فهذه مسألة فيها نظر بل نظران وأكثر . فعليها ببدائع « شوقي » وبتأملات « الخليل » فان هذه وتلك تظهر شيئاً من العظمة والجمال وغيرها من الصفات الباهرة التي تميز روح الشاعر . أما وحدة الفنيّ وميله الى العزلة فان الفيلسوف العصري « ماترلنك » ينبئها عني أن « الأرواح الاعتيادية لا تفهم أسرار العزلة وفوائد مناجاة النفس ، مع ان الانفراد أحياناً رياضة ضرورية للقلب والعقل . وان الروح التي لا تشعر بالاحتياج الى الانفراد هي روح فاسدة » ثم يهتف هذا الفيلسوف نفسه قائلاً مع كارلايل الكاتب الانكليزي : « يا محبي العزلة والصمت ، أنتم ملح العالم ، فان لم تكونوا فيه ، فسد ! » ثم فلتذكر حضرتها أنّ حبّ الذات هو محرّكُ أعمال كل واحدٍ من البشر، سواء كان شاعراً يقرض الشعر أو فلاّحاً يحرث الارض ، لكن هذه العاطفة الغريزية تظهر في كل انسان مظهراً مختلفاً متغيراً بتفاوت الاطباع

والاميال والمدارك . وقصارى الكلام اني اؤكد للسيدة لبيبة أنّ حبّ الفن منحة الهية تخلق مع الانسان وتنمو فيه على التمادي كلما تقدم في السن: هي صفة جميلة غريزية لا اكتسابية كالعلوم واللغات والصنائع . هي نفحة من روح الله الأبدية السرمدية . وليس القصد من الفنون البهرجة ، كما تظنُّ حضرتها ، وانما القصد منها تلطيف الشعائر ، وإعلاء الفكر وتجريده عن الدنايا ، ولمس الروح بيد الجمال ودفعها الى ما هو عظيم شريف . القصد منها تهذيب الأميال وإفهام الانسان أنّ القوى الالهية الراقدة في طيات نفسه تفرض عليه واجباتٍ ، حبها شرف ، والعمل بها مجدٌ لا يضاهى . القصد منها تنوير الافهام وتنبيه العواطف الكريمة في قلبه ، كالشجاعة والمروءة والصدق والحزم والرحمة . ولئن عجبت من قول رسكن « كل شعب يرتقي عنده الفنُّ الى الكمال تسقط مملكته » فلأنّ هذا الرجل لم يكتب الاّ لاعلاء شأن الفنّ وتمجيدهِ وتعظيمهِ ، واظهار الخطة التي يجب على كل فنيّ اتباعها . ليس لرُسكن فلسفة ، ان لم تكن فلسفة الانتقاد الفني ، وأراهُ أعظم ناقدٍ فنّي في انكلترا بل في أوروبا بأسرها اذا وضعنا معهُ « فاين » الفرنساوي الكبير . وقد ظهر رُسكن في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وتوفي منذ سنوات قليلة

تقول حضرة الكاتبة أيضاً أن لا فرق عندها بين حذاءٍ حسن الصنعة وقصيدة بديعة النظم ما دام يجب لاتقان كل عمل قوة عقل . والوعتاه على درر الأفكار تنزّل فتلامس الأحذية ! فحضرتها والحالة هذه لا ترى فرقاً بينها وبين الخياطة التي تزين الثوب بالزركشة

« والدنتلا » ؟ معاذ الله أن أقول أنا بهذا القول ! الجسد عزيز بلا شك والاهتمام بهِ واجبٌ على كلّ عاقل ؛ على انّ أهمية الروح تفوق أهميته بمراحل ، فضلاً عن ان الدماغ ينفق من قواه في عمل عقلي في ساعة واحدة أكثر مما ينفق للعمل الجسدي في ساعات طويلة

نعم ان العمل جميل ، وهو شريف في ذاته مهما كان حقيراً في أعين الناس ، غير أنّ هذا لا ينفي ان لكل شيء درجات : يوجد الحسن والأحسن منهُ ، والعظيم والأعظم منهُ ، والغني والاكثر غنى ، والفاضل والأفضل منهُ ، وهلمّ جرًّا

* * *

لقد انتقدت حضرة الكاتبة الفاضلة تفضيلي آثار الفن القديمة ، وتساءلت كيف أؤثرُ بناء الاهرام ونحت المسلات على أشعة رنتجن والتلغراف اللاسلكي في حين ان تلك الآثار تنطق بما كانت عليه الشعوب الغابرة من الذلّ واستعباد القوي للضعيف . هذا موضوع يطلب البحث لنعلم هل كان الذل أشد وطأةً في الماضي على العباد منهُ اليوم . أما أنا فلا أرى الانسانية قد تمتعت بالحرية التامة بل أراها قد استبدلت قيودها القديمة بقيود جديدة . على ان هذا بحث طويل يضيق عنهُ نطاق هذه العجالة . وأجيب السيدة على سؤالها ، بأني لا أرى نسبة بين المقابلتين لاني لم أتناول المقابلة الاّ من الجهة الفنية ، فلا تجوز النسبة الا بين كل شبيه ومشابه له ، فان وُجدتْ نسبة بين هياكل أثينا وبرج ايفل ، فان هذه النسبة تتلاشى عند ما نقابل تلك الهياكل بالتلغراف اللاسلكي .

ولو انتبهت حضرتها الى هذه النقطة لانصفتني في هذا المعنى . أما الاكتشافات العلمية فمن منا لايقدرها حق قدرها ؟ ان علماء الاكتشاف هم أبطال عصورنا الذين يجب أن تكتب أسماؤهم بدماء القلوب وان تبحثو الافكار لدى ذكرهم المجيد . اني أعبد هؤلاء الابطال وأميل بكليتي الى العلوم التي تسير بالانسانية الى التقدم والارتقاء ، ولم أعنِ في مقالتي السابقة الا العلوم التجارية المحضة التي يتمسك بها البشر طمعاً بالارباح الناتجة عنها . حسن أن يجتهد الانسان في جمع الثروة لأن أهمية الدرهم تزداد يوماً فيوماً ، ولكنني لا أظنُّ أنَّ الارتقاء الصحيح قائم بالثروة وحدها ، وأعتقد مع رسكن ان هناك تربية هي ارتقاء في نفسها وان لم يكن صاحبها مثرياً

هذا اعتقادي يا سيدتي . فاعذري تطوحي واصفحي عن هفوات قلمي . إن لكل امرىءٍ أخلاقاً وأميالاً ، فأنصح لكل واحدٍ ان يعمل بها ، بعد استشارة ضميرهِ . أقول للرياضي : « اشتغل بارقامك » ، وللطبيب « اشف مرضاك » ، وللتاجر « اضحك من زبائنك لئلا يضحكوا منك » ، وللشاعر « احلم أحلامك وأنشد أناشيدك »

فليعمل كل انسان على اكتساب سعادته كما يفهمها هو ، لا كما يفهمها الآخرون ، ما دامت السعادة غاية الخلائق القصوى وكعبة آمال الكون

نوابغ مصر الاحياء

﴿ اقتراح الزهور على قرّائها ﴾

قام في مصر في نهضتها الاخيرة رجال برهنوا على ان الشرقيّ اذا أعدّته التربية ، وتوفر له العلم ، لا يقلّ نبوغاً عن الغربي . واذا كانت مصر قد فقدت في السنوات الاخيرة عدداً من هؤلاء النوابغ لم يفسح لهم في الأجل فكان موتهم خسارة جلّى ، على حين ان الحاجة اليهم والى أمثالهم شديدة ، فان فيها اليوم عدداً أيضاً ممن تصحّ تسميتهم بالنوابغ اذا حُفظت النسبة بين النبوغ و بين النهضة الحاضرة التي تعدّ طفلةً بالنسبة الى نهضة الغربيين في هذا العصر

فالزهور

تقترح على كل واحد من قرّائها ان يختار عشرة رجال في مصر يراهم انهم أشهر النوابغ اليوم . وان يبعث اليها بأسمائهم مجرّدةً عن الأسباب التي بنى عليها اختياره اذ يكفي ان يسرد تلك الأسماء سرداً ولا يُعنت نفسه بالشروح والتعليقات وذكر المِهَن أو الفنون التي كان النبوغ فيها . وانما تجب مراعاة شرط اساسي هو : ان يكون العشرة المختارون من الأحياء

والزهور

تجمع هذه الأسماء ثم تنشرها في الجزء القادم والى جانب كل اسم منها عدد الذين أجمعوا على اعتباره نابغة . وتنشر بعد ذلك صور اولئك العشرة النوابغ المختارين فاسحةً لكل نابغةٍ منهم صفحةً من صفحاتها يكتب فيها للقراء ما يحلو له . ان عشر صفحاتٍ يكتبها عشرة نوابغ . تحتوي ولا ريب عشرات كثيرة من الدرر الغالية